المجلَّة الأردنيَّة في

اللُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة علميَّة عالميَّة محكّمة

المجلد (٢)، العدد (٢)، ربيع الأول١٤٢٧هـ / نيسان ٢٠٠٦م

رئيس التحرير
أ.د سمير الدروبي

سكرتير التحرير
سالم الجعافرة

هيئة التحرير
أ.د حسين عطوان
أ.د نهاد الموسى
أ.د يوسف بكار
أ.د محمود مغالسة
أ.د عبدالفتاح الحموز
أ.د خالد الكركي

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د عبدالكريم خليفة	أ.د ناصر الدين الأسد
أ.د محمود السمرة	أ.د شاكر الفحام
أ.د أحمد الضبيب	أ.د عبدالملك مرتاض
أ.د أحمد مطلوب	أ.د عبدالسلام المسدي
أ.د محمد بن شريفه	أ.د عبدالعزيز المقالح
أ.د عبدالعزيز المانع	أ.د عبدالقادر الرباعي
أ.د عبدالجليل عبدالمهدي	أ.د صلاح فضل

المدقِّق اللغويّ (العربي)
د. جزاء مصاروة

المدقق اللغوي (الانجليزي)
د. خالد الشقير

التنضيد والاخراج الضوئيّ
نهلة عبدالكريم يونس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محتويات العدد

المجلّد (٢)، العدد (٢)، ربيع الأول ١٤٢٧هـ / نيسان ٢٠٠٦م

البحوث باللغة العربية

اسم البحث	اسم الباحث	مكان عمل الباحث	الصفحات
• **أثر النية في الدرس النّحويّ عند القدماء**	د. جزاء المصاروة	جامة مؤتة	١١-٢٥
• **وعي النقد ونقد الوعي في المقامة الموصلية "قراءة تداولية ثقافية"**	د. جمال مقابلة	الجامعة الهاشمية	٢٧-٥٧
• **في البِنْيَة التأسيسيّة لنقدنا العربي الحديث ("مقدمة لدراسة بلاغة العرب": نموذجًا)**	د. عبدالله بن أحمد الفيفي	جامعة الملك سعود الرياض	٥٩-٨٦
• **تحولات "فاعلن" في شعر التفعيلة:ديوان شجر الليل لصلاح عبد الصبور**	د. راشد علي عيسى	جامعة	٨٧-١٠٧
• **العربية الفصحى بين المعرفة والأداء الوظيفي**	د. إبراهيم يوسف السيد	جامعة آل البيت	١٠٩-١٣٦
• **جمع القرآن ودوره في المحافظة على العربية وتوحيدها**	د. فايز المحاسنة	جامعة مؤتة	١٣٧-١٤٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أثر النية في الدرس النّحويّ عند القدماء

د. جزاء المصاروة *

تاريخ تسليم البحث : ٤/١٠/٢٠٠٥ تاريخ قبوله :٢٣/١/٢٠٠٦

ملخّص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن سمة مهمة في التفكير النحوي عند القدماء، فهو يبحث في مدى اعتماد النحاة القدماء على نية المتكلم في تفسير النصوص والجمل، وتقعيد لغة العرب، ويبين أن للنية دوراً لا يمكن إغفاله في التأويل النحوي من جهة، وفي صوغ القواعد النحوية من جهة أخرى؛ مما يدل على مدى اهتمام النحاة بما وراء النص، فهم لم يتعاملوا مع النصوص على أنها مبتورة عن قائليها، بل حاولوا تفسيرها محاولين الاعتماد على نية القائل وقصده.

Abstract

This paper aims at uncovering a significant characteristic of syntactic thinking in the case of old grammarians. It investigates the range of such grammarians' reliance on speakers intention in interpreting the linguistic phenomena and codification of Arabic.

The paper concludes that intention plays an important role in syntactic interpretation and codification of syntactic rules. These leads old grammarians not just to pay attention to these linguistic phenomena, but also leads them to account for the reasons of these phenomena. Texts according to such grammarians cannot be taken or interpreted without reference to speakers' intention.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة مؤتة.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة

بذل علماء اللغة القدماء جهوداً كبيرة في جمع لغة العرب، ثم تقليبِها وتمحيصِها، والخروجِ من ذلك بقواعدَ تحكمُ هذه اللغةَ، وكان هذا العملُ الجبّارُ لأسبابٍ لعل من أهمِّها شيوعَ اللحنِ بعد أن دخلت عناصرُ غيرُ عربيةٍ في الإسلام، وقد اعتمد هؤلاءِ العلماء في تقعيدهم للظاهرة اللغوية وتفسيرها على ما سمي بعد ذلك بأصول النحو: القياس، والتعليل، والسماع (١).

ومما لا شكَّ فيه أن النحاةَ القدماءَ لم يكتفوا بوصفِ كلامِ العرب كما جاء عنهم، بل راحوا يفسّرونَه ويتأولونَه ويعللونه-في مرحلة تالية لمرحلة الجمع- وقد كان هذا التفسيرُ والتأويلُ لإظهارِ جمالِ اللغةِ العربيةِ وعبقريتِها، وصولاً إلى أنَّ هذه اللغةَ هي أشرفُ اللغاتِ وأعظمُها، أو لردِّ الأنماطِ والتراكيبِ اللغويةِ التي ندّتْ عن قواعدِهم وأقيستِهم لتتَّسقَ مع هذا النظامِ اللغويِّ الذي رسموا قواعدَه وحدودَه ومعالَمَه(٢)، أوبسبب التفاتهم إلى المعنى خاصة إذا تخلف التفسير على المستوى النحويّ(٣).

وكانت تسيطر على النحاة في تفسيراتهم وتوجيهاتهم فكرةُ العاملِ، تلك الفكرة التي قام عليها نظام النحو العربي، فتصور النحاة أنه ما من حركة أو سكنة إلا بتأثير عامل لفظيٍّ أو معنويٍّ، وعدّوا بعض العوامل أصلاً كالأفعال، وبعضها فرعاً كالأسماء والحروف، وجعلوا بعضها أقوى من بعض (٤).

وبسبب فكرة العامل تلك كثرَ الحديثُ عن الحذفِ والإضمارِ والتقديرِ والنيّةِ، وإذا كان العلماءُ قديمُهم ومحدثُهم قد تحدّثوا عن الحذفِ والإضمارِ والتقديرِ بشيء من التفصيل، فلم أرَ فيهم من تحدثَ عن النيّةِ كمظهرٍ من مظاهرِ التأويلِ النحويّ.

لذا جاء هذا البحثُ لينفضَ الغبارَ عن مظهر من مظاهر التأويلِ النّحويّ، اتكأَ عليها القدماءُ في تفسيراتِهم وتخريجاتِهم النّحويةِ، وهو (النيّة) إذ اعتمدَ هؤلاءِ العلماءُ على قصدِ المتكلّم ونيّتِه في تفسيرِ الظاهرة اللغوية، وهذا الموضوعُ على صغرِ حجمِه في النّحو العربيّ، إلا أنّه يكشفُ عن سمةٍ هامةٍ من سماتِ هذا التفكيرِ، وهي اهتمامُ النحاةِ بدواخلِ النفسِ البشريةِ ومراميها، كما أنّ النحاةَ فسّروا بالنظرِ إليه كثيراً من الظواهرِ اللغويةِ.

وقد عكفتُ على لملمةِ أشلاءِ هذا الموضوعِ من كتب النّحو، والمظانّ الأخرى، إذ جمعتُ ما استطعتُ من عباراتِ النّحويينَ التي ظهرَ فيها التفسيرُ أو التقعيدُ بالاعتماد على نيّة المتكلّم، وحرَصتُ على أن يكونَ لفظُ النيّة في عباراتِهم صريحاً، كأنْ يقالَ: على نيّة كذا، أو لأنهم نوَوْا كذا... وأشباههما.

وقد تناولَ البحثُ أولاً تعريفَ النيّة لغةً واصطلاحاً، ثم حاولَ الربطَ بين النيّة في الدراساتِ النّحويةِ

(١) انظر عيد، محمد، أصول النحو العربي، عالم الكتب-القاهرة، ١٩٨٧، المقدمة.

(٢) وانظر: الخثران، عبدالله بن حمد، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية-إسكندرية، ١٩٩٣م ، ٩٨.

(٣) انظر: الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي، دار البشير ومكتبة وسام-عمان، ط٢ ١٩٨٧م: ٧٣ وما بعدها

(٤) انظر:عيد، محمد، أصول النحو العربي، ٢٣٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والدراساتِ الشرعيةِ، في محاولةٍ لتفسيرِ وجودِ هذه الركيزةِ في التفكيرِ النّحويّ عند القدماء، ثم عرضَ البحثُ النيّة ركيزةً من ركائز الدراسات النّحوية في محورين، الأول: التفريقُ بين النيّة والحذفِ، والثاني: مظاهرُ النيّة في الدراساتِ النّحويةِ، حيث جاءت في مظهرين، الأول: التأويل النّحوي، والثاني: صوغ القواعد النّحوية.

آملاً من اللهِ العليّ القديرِ أنْ أكونَ قد وُفّقتُ في عرضِ هذا الموضوعِ عرضاً علمياً موفيه حقَّه، وإنْ كان ثمةَ خللٌ أو خطلٌ فتلك سماتُ البشر.

والحمد لله رب العالمين.

أولاً - النيّة لغةً واصطلاحاً:

جاءَ في الصحاح:" نويتُ نيّةً ونَواةً: أي عزَمْتُ، وانتويتُ مثلُه... والنيّة أيضاً والنَّوى: الوجهُ الذي يَنويه المسافرُ من قُرْبٍ أو بُعدٍ"(١)، وفي لسان العرب:"نوى الشيءَ نيّة ونِيَة...وانتواه: كلاهما قَصَدَه واعتقدَه"(٢).

فالنيّة في اللغة تعني القصدَ والعزمَ على الإتيانِ بأمرٍ ما دونَ أن يُؤتى، دونما تحديدٍ إذا ما كان هذا الأمرُ المنويُّ قولاً أو عملاً، ولِفعلِها (نَوى) ثلاثةُ مصادرَ: نيّة و نَواةٌ، ونِيَة(٣)،ويبدو أنّ المصدرَ الأوّلَ هو الأشْيَعُ، وهو المستخدَمُ في الدراسات النّحوية والشرعية.

أما في الاصطلاح النّحوي، فالنيّة مقصورةٌ على القولِ أو الكلام؛ لذا يمكن أنْ نصوغَ لها تعريفاً على النّحو التالي: هي قصدُ المتكلّم الإتيانَ بلفظٍ معيَّنٍ دونَ أنْ يأتيَ به، مما يشكّلُ أثراً في النمطِ اللغويّ، فيغيرُه عن وجهتِه التي كان ينبغي أنْ يكونَ عليها لولا ذلك القصدُ.

ثانياً - أصل النيّة في الدراسات النّحويّة:

كان للإسلام دور واضح في إبراز أثرِ النيّة وأهميتِها في ما يصدر عن المسلمِ من أقوالٍ وأفعالٍ، حتى اشتُرطتْ النيّة في معظم العباداتِ كالصومِ والحجِّ والوضوءِ...وغيرِها، وفي الحديثِ المشهورِ عن الرّسولِ صلّى اللهُ عليه وسلم:"إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ"(٤)، وفي حديثٍ آخرَ:" نيّة المؤمنِ خيرٌ مِن عملِه"(٥) ورُوي عن يحيى بن كثيرٍ أنه قال:" تعلّموا النيّة فإنّها أبلغُ من العملِ"(٦).

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت ٣٩٣هـ) الصّحاح، تحقيق عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط٣ ١٩٨٤م: ٢٥١٦/٦.

(٢) ابن منظور، جمال الدين(ت٧١١هـ)، لسان العرب،دار صادر، بيروت، ط٣ ١٩٩٤م: ٢٤٧/١٥ (نوى)

(٣) يبدو أن المصدرالثالث(نيّة) مخَفَّفٌ من الأوّل، كما خُفّفَ (مَيْتٌ) من ميّت، و(هَيْنٌ) من هيّن.

(٤) البخاري(ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣ ١٩٨٧ : ٢٤٦١/٦

(٥) الحنبلي،أبو الفرج عبدالرحمن(ت٧٥٠هـ)جامع العلوم والحكم، دار المعرفة-بيروت، ط١ ١٤٠٨هـ:١٣

(٦) الأصبهاني، أبو القيم ت٤٣٠هـ، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤ ١٤٠٥هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبالنظر إلى ذلك فقد وقرَ في أذهانِ المسلمينَ أنّ نيّة الشيءِ كعملِه، وليس عجيباً أن يتسربَ ذلك إلى الدراسات النّحوية، فيهتمَّ النّحويونَ بنيّة المتكلّم وقصدِه، ويجعلوا لهما أثراً بارزاً في صياغةِ ألفاظِه وتراكيبِ جملِه، وهو أمرٌ ليس بمستنكَرٍ في بعض الأحيان، إذ قد يُشيرُ أحدُنا إلى زميلٍ له قائلاً: (القلمَ) أو (قلماً)؛ لأنَّ قصدَه أعطني قلماً، وقد أشار إلى شيء من هذا الدكتور نهاد الموسى في "نظرية النحو العربي" عند حديثِه عن البُعدِ الخارجيّ في التحليل النحويّ عند سيبويه: "...بل يتّسع[سيبويه] في تحليلِ التراكيبِ على وصفِ المواقفِ الاجتماعيّة التي تستعمل فيها وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب، وحال المتكلم، وموضوع الكلام"(١).

لكنّ المبالغةَ في الاعتمادِ على هذا الجانبِ الخفيّ من النصِّ فيه من الخطورةِ ما فيه، إذ لا يخلو من التخمينِ في كثيرٍ من الأحيان، كما أنه يُبعدُ النصَّ اللغويَّ عن عفويتِه.

ويبدو أن التفسير بالنية قد رافق نشأة النحو، فقد روى سيبويه عن الخليل في أكثرَ من موضعٍ تفسيرَه للظاهرةِ اللغويةِ بالنيةِ، كتفسيره دخولَ الألفِ واللامِ في الحال في مثل: جاءوا الجماءَ الغفيرَ، وأرسلها العراكَ، بأن العرب تكلموا بذلك على نيّة ما لا تدخله الألف واللام(٢)، ومن ذلك أيضاً تفسيرُ الخليل لجرّ العرب الصفةَ في نحو:"ما يحسُنُ بالرجلِ مثلِك أن يفعل" قال:"إنما جرُّ هذا على نية الألف واللام(٣). كما فسّر سيبويه نفسُه كثيراً من الظواهر اللغوية معتمداً على النية كما سيأتي في ثنايا البحث(٤)، بل إن عنده باباً بعنوان:" هذا بابُ ما يكونُ معطوفاً في هذا البابِ على الفاعلِ المضمرِ في النيّةِ، ويكون معطوفاً على المفعول وما يكون صفةَ المرفوعِ المضمر في النيّةِ ويكونُ على المفعول"(٥) ويقصد بذلك توكيد الضمير المستتر في مثل:"إياك أن تفعل.."

وقد عبّر المبرّدُ كذلك عن الضميرِ المستترِ بأنه مضمرٌ في النيّةِ، فقال:"تقولُ في الواحدِ: هندٌ قامتْ، التاءُ علامةُ التأنيثِ، والضميرُ في النيّةِ كما كان في المذكرِ(٦)، واستخدم المبرّدُ مصطلح النيّةِ في المقتضبِ في غيرِ موضعٍ(٧).

واعتمد كذلك ابنُ جنّي على النيةِ في التفسيرِ والتأويلِ النحويّ، فقال:" ويجوز تقديمُ خبر المبتدأ عليه، تقول: قائمٌ زيدٌ، وخلفَكَ بكرٌ، والتقديرُ: زيدٌ قادمٌ، وبكرٌ خلفك، تقدّمَ الخبرانِ وفيهما ضميرٌ؛ لأنَّ النيّةَ فيهما التأخيرُ(٨).

(١) الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي، ٩٧

(٢) انظر سيبويه(ت١٨٠هـ) الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ ١٩٨٨م: ١/٣٧٥،

(٣) نفسه، ٢/١٣، وانظر كذلك ٣/١٠٦

(٤) وانظر كتابه: ٢/١٧٥، و١/٣١٠، و٣/٢٨، و٣/٤٩٨.

(٥) انظر سيبويه، الكتاب، ١/٢٧٧

(٦) انظر المبرد، أبو العباس(ت ٢٧٥هـ)المقتضب، تحقيق عبدالخالق عظيمة،عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٩م: ١/٢٦٣.

(٧) انظر :نفسه، ١/٢٦٢، و٢/١٦٤، و٢/١٧٨، و٤/١٦١ وغيرها.

(٨) ابن جني، عثمان(ت ٣٩٣هـ) اللمع في العربية، تحقيق فائز الفارس، دار الأمل-الأردن، ط٢ ١٩٩٠م: ٣٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وليس أدلَّ على أهميةِ النيّة عند النّحويينَ من قولِ ابن هشام في حديثِه عن لزومِ الفعلِ وتعديهِ:"وتارةً يَتعلقُ [الغرض] بالإعلامِ بمجرّدِ إيقاعِ الفاعلِ للفعلِ؛ فيُقتَصَرُ عليهما، ولا يُذكرُ المفعولُ، ولا يُنوى، **إذ المنويُّ كالثابت**"(١).

ثالثاً- النيّة ركيزةً من ركائزِ الدراساتِ النّحويةِ:

رأيتُ أنّه من الممكنِ معالجةُ هذا الموضوعِ في محورينِ رئيسينِ، الأول: الفرقُ بين النيّة والحذفِ، والثاني: مظاهرُ النيّة في الدرسِ النّحويِّ عند القدماءِ.

المحور الأول- الفرقُ بين النيّة والحذفِ:

سيطرتْ نظريةُ العاملِ-كما قدّمنا- على النّحو العربيِّ بشكلٍ ملحوظٍ ولافتٍ للنظر، فجعلَ النحاةُ الحركاتِ الإعرابيةَ ناجمةً عن عواملَ تصنعُها، فكلُّ حركةٍ إنما تجيء لعامل-إن لم يكن ملفوظاً فهو ملحوظ(٢)، كما رأوا أنّ الجملَ سواءٌ أكانت فعليةً أم اسميةً تقومُ على فكرة الإسناد: المُسنَدِ والمسندِ إليهِ، والجملةَ التي تخلو من أحدِ هذين الركنينِ أو من كليهما فهي ليست كلاماً مُفهماً؛ لذلك كثُر الحديثُ عن الحذفِ في ما يتعلقُ بهذين الأمرين، أقصد العاملَ من جهة، والمسندَ والمسندَ إليه من جهةٍ أخرى، ثم اشترطوا شروطاً للحذفِ –خاصة إذا كان الحذفُ في أحد ركني الجملة- ليس هذا محلَّ بحثها(٣).

ويُرافقُ مصطلحَ الحذفِ مصطلحٌ آخرُ قريبٌ منه ، وهو الإضمارُ، وقد استخدم النّحويونَ كلاً من هذين المصطلحينِ في موضعِ الآخر، وقد أدرك ذلك ابنُ مضاء فقال:" والنّحويونَ يفرّقون بين الإضمارِ والحذفِ، ويقولونَ-أعني حُذّاقَهم- إنّ الفاعلَ يُضمَرُ ولا يُحذفُ، فإنْ كانوا يعنونَ بالمضمرِ ما لا بدّ منه، وبالمحذوفِ ما قد يُستغنى عنه، فهم يقولونَ هذا انتصب بفعلٍ مضمرٍ ولا يجوزُ إظهارُه، والفعلُ الذي بهذه الصفةِ لا بدَّ منه، ولا يتمُّ الكلامُ إلا به، وهو الناصبُ...وإنْ كانوا يعنونَ بالمضمرِ الأسماءَ ويعنونَ بالمحذوفِ الأفعالَ، ولا يقعُ الحذفُ إلا بالأفعالِ...فهم يقولونَ في قولنا:"الذي ضربتُ زيدٌ" إنَّ المفعولَ محذوفٌ تقديرُه ضربتُه"(٤).

وقد استخدمَهما بعضُ النّحويينَ في الموضعِ الواحد، ففي حديثِ ابن هشام عن إضمارِ العاملِ في بابِ الاشتغالِ، قال:" وقد **يُضمرُ** وجوباً في مواضعَ منها بابُ الاشتغالِ...نحو:" زيداً ضربتُه"...وإنما كان **الحذف** هنا واجباً لأنّ الفعلَ مُفَسِّرٌ له"(٥) فقد استخدم المصطلحينِ (الحذف والإضمار) للدلالةِ على

(١) انظر:ابن هشام(ت ٧٦١هـ)مغني اللبيب: ٢٣٩/٢. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، بيروت، ط٦ ١٩٨٥م: ٦٣/٢

(٢) وانظر:مصطفى، إبراهيم، إحياء النّحو، القاهرة، ١٩٥٩م: ٢٢

(٣) انظر: ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٣٩/٢

(٤) القرطبي، ابن مضاء(ت٥٩٢هـ) الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٤٧م: ٩٢-٩٣.

(٥) ابن هشام (ت٧٦١هـ)، شرح شذور الذهب، تحقيق عبدالغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط١ ١٩٨٤: ٢٧٩/١-٢٨٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظاهرةِ الواحدةِ، على أنَّهم في بعضِ المواضعِ لا يستخدمونَ إلا مصطلحَ الإضمارِ، مثلُ نصبِ الفعلِ المضارعِ بأنْ المضمرةِ[١]، وفي مواضعَ أخرى لا يستخدمون إلا الحذفَ لا سيّما في حذفِ الفضلات[٢].

ولن أسترسلَ في التفريقِ بين الحذفِ والإضمارِ؛ ذلك أنّ هذا ليسَ موضوعَ البحثِ، لكني ذكرتُ ما ذكرتُ ليُعلمَ أنه عند الحديثِ عن الفرقِ بين النيّة والحذفِ فإنما نقصدُ الحذفَ والإضمارَ معاً.

وقد لمستُ من خلال دراستي موضوعَ النيّة فروقاً دقيقةً بين النيّة والحذفِ، أجملُها في ما يلي:

أولاً- الحذفُ معنويٌّ في الدرجةِ الأولى معياريٌّ في الدرجةِ الثانيّة، بمعنى أنّ النحاةَ يلجئونَ إليه عندما يجدونَ فساداً في المعنى لا ينصلحُ إلا بتقديرِ محذوفٍ، وهذا واضحٌ من تقديرهم المسندَ والمسندَ إليه أو كليهما، فكلمةُ (زيدٌ) وحدَها لا تحملُ معنى تركيبياً إنْ لم يُقضَ بحذفِ (هذا) مثلاً، وفي قوله تعالى:﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ﴾[٣] لا يستقيمُ المعنى إلا بتقديرِ المضافِ وهو (أهل) وذلكَ لاستحالةِ المعنى على الحقيقةِ[٤].

أما كونُه معيارياً، فيَعني تقديرَ محذوفٍ ليتسقَ التركيبُ مع القواعد التي صاغها النحاة، ويكونُ ذلك إما جرياً وراءَ نظريةِ العاملِ، وإما احتكاماً لقاعدةٍ صاغوها، ومن الأوّلِ حديثُهم عن حذفِ العاملِ في أساليبِ الاختصاصِ والتحذيرِ والإغراءِ والاشتغالِ...وغيرِها[٥]، ومن الثاني قولُهم في قولِه تعالى:﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ﴾[٦] إنّ التقديرَ:"لأنا أقسمُ"؛ لأنّ فعلَ الحالِ لا يُقسمُ عليه في قولِ البصريينَ، وقولُهم في :"قمتُ وأصُكُّ عينَه" إنّ التقديرَ: وأنا أصكُّ؛ لأنَّ واوَ الحالِ لا تَدخلُ على المضارعِ المُثبَتِ الخالي من (قد)[٧].

وهذا الذي ذكرناه هو ما عناه ابنُ هشام عندما قال:" دليلُ الحذفِ نوعان: أحدُهما غيرُ صناعيٍّ، وينقسمُ إلى حالي ومقالي...والثاني: صناعيّ، وهذا يختصّ بمعرفتِه النّحويون"[٨] فغير الصناعيّ هو ما يقتضيه المعنى، والصناعي ما تقتضيه القاعدةُ.

أما النيّة فهي تفسير معياريٌّ في الغالب، ينصبُّ على تفسيرِ اللفظِ دون المعنى، وعلى ذلك فهي تشتركُ مع الحذفِ في الجانبِ الثاني فقط، أيْ في ردِّ الأنماطِ اللغويةِ إلى قواعدِ النّحويينَ، لكنّ الفرقَ بينهما هنا أنه ليس مع التفسيرِ بالنيّة حذفٌ لأحدِ عناصرِ التركيبِ، فالعناصر مكتملةٌ في الغالبِ، لكنّ نيّة المتكلّم تتحكمُ في توجيهِ الشكلِ اللغويّ الذي نَطقَ به، فمثلاً يجوز لك أنْ تقولَ:" هذا الضاربُ زيداً أمسِ" إذا نويتَ

(١) ابن الأنباري، أبو البركات (ت٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف،دار الفكر، بيروت: ٢/٥٥٥.
(٢) الحموز، عبدالفتاح، التأويل النّحوي في القرآن الكريم، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٩٨٥: ١/١٣٤.
(٣) يوسف: ٨٢
(٤) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ٢/٦٢٣.
(٥) انظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة: ٧٨-٩٧.
(٦) القيامة: ١
(٧) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ١/٧٨٩.
(٨) نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالضاربِ:"الذي ضرب" وإذا لم تنوِ بأل التعريف (الذي) لم يجُزْ لك إعمالُ اسمِ الفاعلِ(١).

وفي اسمِ التفضيلِ المضافِ إلى معرفةٍ تجوزُ المطابقةُ وعدمُها بشرطِ أنْ يُنوى التفضيلُ، فإذا لم يُنوَ تعينتْ المطابقةُ، فإذا قلتَ:" الناقصُ والأشجُّ أعدلا بني مروان" تعينتْ المطابقة؛ لأنّك لم تقصدْ تفضيلَهما على غيرِهما، وإنما قصدتَ أنهما عادلا بني مروان(٢)، وفي قول النابغة(٣):

ونأخذْ بعدَه بذِنابِ عيشٍ أجبَّ الظهرَ ليس له سنامُ

"نوى التنوينَ في (أجبّ) وأجبُّ لا ينصرف...ونصب (الظهرَ) لأنه نوى التنوين"(٤)

ونحن نلاحظ في هذه الأمثلة، وهي قليلٌ من كثير ألاّ حذفَ في التركيبِ اللغويّ، ولكنّ نيّة المتكلّم- كما يرى النّحويون- هي التي تحكمتْ في شكلِ النمطِ اللغويّ.

ثانياً- النيّة لا تكونُ في العواملِ غالباً(٥) أو في أحدِ ركنيْ الجملةِ الأساسيين، إلا إذا كان العاملُ قد سبقَ ذكرُه في تركيبٍ ما، كما في نيّة العاملِ في التوابعِ، يدعمُ هذا ما صرّحَ به سيبويهِ مثلاً في قوله:"ولا يجوزُ أن تَنويَ في (كان) وأشباهِ كان علامةَ إضمارِ المخاطبِ ولا تذكرَها، لو قلتَ: ليس من يأتِكَ تُعطِه، تريد لستَ لم يجزْ، لو جاز ذلك لقلت: كان من يأتك تعطِه، تريد كنتَ"(٦).

ويبدو أنّ السببَ في ذلك راجعٌ إلى أنّ النيّة أمر خفيٌّ غيبيٌّ يصعبُ التنبؤُ به، أما الحذفُ فهم يفترضونَ أنّ اللفظَ كان موجوداً ثم حُذف؛ لذلك بقي أثره بارزاً، فلو قيلَ مثلاً (زيدٌ) على أنّه خبرٌ لمبتدأ منْويّ هو(هذا) لكانَ في الأمرِ حكمٌ بنيّة القائلِ في أمرٍ غايةٍ في الخطورةِ هو الإسنادُ؛ لذلكَ قالوا في مثلِ هذه الجملةِ إنّ المبتدأ محذوفٌ، و لم يقولوا إنه منويّ.

ثالثاً- لم يَقتصر أمرُ النيّة على تفسيرِ التراكيبِ اللغويةِ، بل تعداها إلى صوغِ قواعدَ نحويةٍ، كما سيأتي، وذلك مثل: يجوز في المرخّمِ لغتان: إحداهما أنْ يُنوى المحذوفُ، والثانيّة ألاّ ينوى(٧)، وعطفُ البيانِ ليس في

(١) انظر: ابن السراج،(ت٣١٦هـ)، الأصول في النّحو، تحقيق عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ ١٩٨٨م: ٢/٢٦٥.

(٢) انظر: ابن عقيل،بهاء الدين(ت ٧٦٣هـ) شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، دمشق، ط٢ ١٩٨٥م: ١٨١/٣.

(٣) سيبويه(ت١٨٠هـ) الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٦/١، وعبدالقادر بن عمر(ت ١٠٩٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، قدم له ووضع حواشيه محمد طريفي وأميل يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ ١٩٩٨: ٥١١/٧.والبيت في ديوان النابغة وفيه "ونمسك بعده.." ويُروى بنصب الظهر وجرّه.انظر: الحضرمي، محمد بن إبراهيم(ت ٦٠٦) مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية-ديوان النابغة، تحقيق علي الهروط، عمادة البحث العلمي-جامعة مؤتة، ١٩٩٢م: ٦٠

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٥هـ) الجمل في النّحو، تحقيق فخرالدين قباوة، ط٥ ١٩٩٥م:١٠٠

(٥) قلنا غالباً لأن حرف الجرّ قد يُنوى ويبقى عمله.

(٦) سيبويه(ت١٨٠هـ) الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: ٧٤/٣.

(٧) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ٢٩٢/٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نيّة إحلاله محلَّ الأولِ بخلافِ البدلِ؛ ولهذا امتنع البدلُ في (الحارث) وتعيّنَ البيانُ في نحو:"يا زيدُ الحارثُ"[١] ومن هذه القواعد أيضاً عدمُ تجويزِهم تقديمَ الضميرِ إذا لم يكنْ عائداً على اسمٍ في نيّة النصبِ، فلا يجوزُ عندهم:" في داره قيامُ زيدٍ"[٢] لأنّ ما يعودُ عليه الضميرُ مجرورٌ. هذا كلُّه في حين أنّ الحذفَ اقتصر أمرُه على تفسيرِ التراكيب اللغوية.

المحور الثاني- مظاهرُ النيّة في الدرسِ النّحويّ:

من خلالِ تتبعنا لهذه الظاهرةِ في كتبِ النّحويينَ، وجدناها تبرزُ في مظهرينِ، الأوّلُ: التأويلُ النّحويّ، والثاني: صوغُ القواعدِ النّحويّةِ.

المظهر الأول- التأويل النّحوي:

كان للنيّة أثرٌ بارزٌ في تفسيرِ بعضِ التراكيبِ النّحويّةِ ومحاولةِ ردّها إلى قواعدِ النّحويين التي أصّلوها نظاماً للغةِ، وقد وجدنا أنّه من الممكنِ أن نجعلَ النيّة أنواعاً على النّحو التالي:

أ-نيّة الذِّكْر

والمقصود هنا أن ينويَ المتكلّم لفظاً، لكنّه لا يذكرُه في السياقِ اللغويّ، ومن ذلك نيّة المضافِ إليه، إذ فسّرَ النّحويونَ بناءَ الظرفِ المقطوعِ عن الإضافةِ بأنه يُبنى على الضمِّ على نيّة معنى المضافِ إليه، ويُبنى على الكسرِ على نيّة لفظ المضافِ إليه، ويُبنى على الفتحِ على نيّة تركِ المضافِ إليه لفظاً ومعنى. ورُوي عن أبي علي الفارسيّ أنه جوّزَ:"أبدأُ بذا مِن أولُ ومِن أولِ ومِن أولَ"[٣] وعلى البناءِ على الضمِّ جاءتْ الآيةُ الكريمةُ:﴿للهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ﴾[٤] وفسّر ابنُ الأنباري اختيارَ الضمةِ علامةً للبناءِ بسببينِ، الأولُ: أنَّ الظرفَ بُني على أقوى الحركاتِ وهي الضمةُ تعويضاً له عن المحذوفِ وتقويةً له، والثاني: أنّ النصبَ والجرَّ يدخلانه في حالةِ الإعرابِ، فلو بُني على الفتحِ أو الكسرِ لالتبستْ حركةُ البناءِ بحركةِ الإعرابِ[٥].

ومن نيّة المضافِ إليه قولُهم إنَّ (جُمَع) و(كُتَع) و(بُصَع) و(بُتَع) معارفُ بنيّة الإضافةِ إلى ضميرِ المؤكَّد[٦].

ومن نيّة الذكرِ نيّة تكرارِ العاملِ في التوابعِ، ففي قولِه تعالى: ﴿فأَجْمِعُوا أَمْرَكُم وشُرَكاءَكُم﴾[٧] امتنع أنْ يكونَ (شركاء) معطوفاً على (أمْر)؛ لأنَّ العطفَ على نيّة تكرارِ العاملِ؛ إذ لا يصحُّ "أجمعتُ شركائي"[٨]

(١) انظر: ابن السراج، الأصول في النّحو: ٢/٢٣٩.
(٢) انظر: نفسه: ٢/٢٣٩.
(٣) انظر:سيبويه، الكتاب ٣/٢٩.
(٤) الروم: ٤.
(٥) انظر: ابن الأنباري، أبو البركات(٥٧٧هـ) أسرار العربية، تحقيق محمد بهجت العطار، دمشق، ١٩٥٧م: ٣١.
(٦) انظر: ابن هشام،جمال الدين(ت٧٦١هـ) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الجيل، بيروت: ٤/١٢٨.
(٧) يونس: ٧١
(٨) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ٢/٢٠٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما امتنعَ أنْ يكونَ الحارثُ بدلاً في مثلِ:" يا زيدُ الحارثُ" لأنَّ البدلَ على نيّة تكرارِ العاملِ، فلا يجوز:"يا الحارثُ" وعُدَّ الحارثُ هنا عطفَ بيانٍ(١).

ومن نيّة الذكرِ كذلك أنَّ البصريين يعدّونَ (لَيَنْطَلِقَنِّ) في جملةِ:"زيدٌ لينطلقنّ" خبراً عن زيدٍ، في حين يُنكرُ ذلك الكوفيون، ويجعلونَ (لَيَنْطَلِقَنِّ) جملةً منفصلةً وارتفع عندهم (زيد) باسمٍ قبلَه في نيّة المتكلّم؛ لأنّ اللامَ تفصلُ ما بعدَها عمّا قبلَها(٢).

ويرى البصريّونَ أنّ الفعلَ المضارعَ إذا جاء مؤكّداً مسبوقاً باللامِ (لَتَفْعَلَنّ) لا يكونُ ذلك إلا على نيّة القسم، قال سيبويه:"وسألته (الخليل) عن قولِه: لتفعلنّ إذا جاءت مبتدأةً ليس قبلَها ما يُحلَفُ به، فقال: إنما جاءتْ على نيّة اليمينِ وإن لم يُتكلَّمْ بالمحلوفِ به"(٣) وفسّر سيبويهِ اللامَ في قولِه تعالى:﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُم لأَمْلأَنّ...﴾(٤) بأنها دخلتْ على نيّة اليمينِ(٥).

ومن نيّة الذكرِ نيّة حرفِ الجرِّ، فإذا ما صادفهم اسمٌ مجرورٌ دونَ أن يُسبقَ بحرفِ جرّ، تأولوا ذلك بأنّه قد جُرّ على نيّة حرفِ الجرِّ، وما ذلك إلا تمشياً مع قاعدتِهم التي تقضي بعدمِ جوازِ حذفِ حرفِ الجرِّ وإبقاءِ عملِه(٦)، إلا في بعض المواضع كالقَسَم"اللهِ لأفعلنّ" وفي تمييز (كم) في نحو"بكم درهمٍ اشتريت..."(٧) وفسّر ابنُ جنّي عدمَ جوازِ حذفِ الحرفِ بأنّ الحروفَ إنما جاءتْ للاختصارِ، فإذا حذفتَها كنت مختصراً للمختصرِ، وهذا إجحافٌ به(٨).

ومن التطبيقاتِ على ذلك تفسيرهم قولَ الأحوص(٩):

مشائيمُ ليسوا مُصلِحينَ عشيرةً ولا ناعبٍ إلا ببينٍ غرابُها

وقولَ زهيرٍ(١٠):

(١) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ٥٩٧/١.

(٢) انظر:ابن إسحاق، أبو القاسم عبدالرحمن(ت٣٣٧هـ) كتاب اللامات، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط٢ ١٩٨٥: ١٥٦/١.

(٣) سيبويه، الكتاب: ١٠٦/٢، وابن السراج، الأصول في النّحو: ٩٩/٢، وابن جنّي،عثمان(ت٢٩٣هـ) سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار الفكر، دمشق، ط١ ١٩٨٥م: ٢٩٦/١.

(٤) الأعراف: ١٨.

(٥) انظر: سيبويه، الكتاب: ١٠٨/٣.

(٦) انظر: السيوطي(ت٩١١هـ) الاقتراح في علم أصول النّحو، تحقيق محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت:١٠١.

(٧) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ٥٩١/٢.

(٨) انظر: السيوطي(ت٩١١هـ) الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت:١٤٠/١.

(٩) للأحوص في سيبويه، الكتاب، ٢٩/٣، وابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ١٩٣/١،وابن يعيش، يعيش(ت ٦٤٣هـ) شرح المفصل، عالم الكتب-بيروت، د.ت.

(١٠) انظر: ابن السراج، الأصول في النّحو: ٢٥٢/١، وابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٥٣/٢، وابن هشام، مغني اللبيب: ١٣١/١، وقد نسبه سيبويه، الكتاب مرة لزهير١٦٥/١ ، ومرة لصرمة الأنصاري ٣٠٦/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بدا لِيَ أنّي لستُ مُدرِكَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

بأنَّ الشّاعرينِ قد نَويا الباءَ في (ناعبٍ) و(سابقٍ) وذلك لأنّ الباءَ يكثرُ دخولُها في خبرِ (ما) و(لـــيس) [١].
على أن هذه الظاهرة فُسّرت أيضاً على أنها من العطف على التوهّم[٢].
ومن نيّة الذكرِ كذلك ما جاءَ في قولِ الشّاعر[٣]:

ارهَنْ بنيكَ عنهم أرهنْ بنِيْ

قال ابن جنّي:"يريدُ بنيَّ، فحذفَ الياءَ الثانيّة للقافيةِ، و لم يُعِدْ النونَ التي كان حذَفَها للإضافةِ، فيقولَ: (بنين) لأنّه نوى الياءَ الثانيةَ، فجعل ذلك دليلاً على إرادتِها ونيّته لها"[٤].
ومن نيّة الذكرِ ما فُسّر به قولُ تأبّطَ شراً[٥]:

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتِنا أو عبدَربٍّ أخا عَوْنِ بنِ مِخراقِ

قال الخليلُ:"نصَبَ (عبدَ) حملاً على موضعِ دينارٍ، كأنّه نوى التنوينَ في باعثٍ"[٦] وكذلك فُـــسّرَ نـــصب (الظهر) في قولِ النابغةِ[٧]:

ونأخذْ بعـــدَه بذِنابِ عَيْشٍ أجـــبَّ الظهـــرَ ليسَ له سَنـــامُ

على أنه نوى التنوينَ في (أجبّ) وأجبُّ لا ينصرف.

ب- نيّة الطرحِ

والمقصود هنا عكسُ نيّة الذكرِ، إذ يكونُ اللفظُ مذكوراً ظاهراً في التركيبِ، لكنَّ نيّة المتكلّم طرحُـــه والاستغناءُ عنه، ومن ذلك عدُّهم (حسبُكَ) في "بحسبكَ زيدٌ" مبتدأً، و(أحد) في"ما جاءني من أحدٍ" فاعلاً؛ وذلك لأنَّ حرفَ الجرِّ (الباءَ ومِن) في نيّة الاطّراح[٨].

(١) انظر: سيبويه، الكتاب: ٣/٢٨-٢٩.
(٢) انظر: سيبويه، الكتاب: ٣/١٠١، وابن هشام، مغني اللبيب ٢/١٢٣
(٣) بلا نسبة في ابن جنّي، الخصائص: ٣/٣٢٧.
(٤) نفسه: ٣/٣٢٨.
(٥) ينسب لجرير ولجابر بن ألان أيضاً، انظر: البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٨/٢١٥، والبيت بلا نسبة في سيبويه، الكتاب، ١/١٧١، والأشموني، أبو الحسن نور الدين(ت٩٠٠هـــ) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدم له حسن حمد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ ١٩٩٨م، ٢/٢٢٨.
(٦) انظر: الفراهيدي، الجمل في النّحو: ١/١٢٦.
(٧) انظر: ص٧ من هذا البحث.
(٨) انظر، ابن الأنباري، الإنصاف: ٢/٦٩٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج. نيّة التعريف

ومن ذلك ما فَسّرَ به الخليلُ بنُ أحمدَ جملةً مثل: "ما يَحسُنُ بالرجُلِ خيرٍ منك أنْ يفعلَ كـذا" إذ فَسّرَ وصفَ المعرفةِ (الرجل) بالنكرةِ (خيرٍ) بأنّه على نيّة (أل) في خير[١]، وأنا أميلُ هنا إلى قَبولِ رأي ابـنِ جنّي في تفسيرِ هذه المسألةِ، إذ فسّرَها بأنّ المقصودَ بالرجلِ هنا الجنسُ، والجنسُ تفيدُ معرفتُه مفادَ نكرتِـه، فدلالةُ الرجلِ هنا على العمومِ، فكأنّه نكرةٌ وليس بمعرفةٍ[٢]، وعلى ذلك فَسّرَ ابنُ جنّي قولَه تعالى:﴿وما يُلقّاها إلا الذينَ صَبَرُوا وما يُلقّاها إلا ذو حَظٍّ عَظيمٍ﴾[٣] حيثُ عُطفتْ النكرةُ (ذو حظ) على المعرفةِ (الذين)، ف(الذين) هنا ليسوا مخصوصين، فكأنّه قال: وما يلقاها إلا قومٌ صبروا[٤].

ومن نيّة التعريفِ ما فَسّرَ به الخليلُ قولَ الشّاعرِ[٥]:

غَدَرَتْ يَهودُ وأسلمتْ جيرانَها صَمّي لما فعَلتْ يهودُ صَمامِ

فهو يرى أنّ الشّاعر تركَ التنوينَ في (يهود) لأنّه نوى الألفَ واللامَ فيه[٦]، وكذلك قولُ امرئِ القيسِ[٧]:

أحارِ أُريكَ بَرقاً هَـبّ وَهنـاً كنارِ مَجوسَ تستعرُ استعارا

نوى الألفَ واللامَ في (مجوس)؛ لذلك تركَ التنوين[٨]، والراجحُ لديّ هنا أنّ تركَ التنوينِ هنا للمنعِ من الصرفِ؛ لأنّ يهودَ ومجوسَ علمانِ على قبيلتينِ، وهما ملازمان للتأنيث، وذلك ما ذهب إليه سيبويه[٩].

د. نيّة التنكير

وهي على عكسِ نيّة التعريفِ، ومن ذلك ما جاء في تفسيرهم للحالِ التي جاءتْ معرفةً، مثلُ: أرسلْها العِراكَ، ووحدَه، وجاءوا قضَّهم بقضيضِهم، وفعلتَه جهدَك" على أنّها مصادرُ تُكلِّم بها على نيّة وضْعِها في

(١) انظر: سيبويه، الكتاب: ١٣/٢.

(٢) انظر: ابن جنّي، عثمان(ت ٣٩٣هـ) الخاطريات، تحقيق علي ذو الفقار دار الغرب الإسلامي،ط١ ١٩٨٨م: ٩٤-٩٥.

(٣) فصلت: ٣٥

(٤) انظر: ابن جنّي، الخاطريات: ٩٤-٩٥.

(٥) البيت للأسود بن يعفر، انظر:الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٣٤٦/٢، وابن منظور، لسان العرب: ٤٣٩/٣

(٦) انظر:الفراهيدي، الجمل في النّحو: ٢٠٣/١.

(٧) انظر: نفسه.

(٨) انظر: نفسه.

(٩) انظر: سيبويه، الكتاب: ٢٥٤/٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موضعِ ما لا تعريفَ فيه[١]، ومن ذلك ما ذكرَه ابن جنّي في (هيهاة) قال:"فمن نوّنَ فقال: هيهاةً، فإنّه نوى النكرةَ"[٢].

هـ. نيّة الوقف

والمقصود بها أنْ يَنويَ المتكلّم الوقوفَ على لفظٍ ما، لكنّه يصلُ الكلامَ ولا يقفُ، فيُعاملُ اللفظَ في حالةِ الوصلِ معاملتَه إياه في حالةِ الوقفِ، ومن ذلك ما جاء في قولِ الشّاعر[٣]:

قالتْ سُليمى اشترْ لنا سُوَيْقاً

إذ ذُكرَ في سكونِ راءِ (اشتر) تفسيران، أحدُهما: أنّه من إسكان الوسطِ المتحرّكِ، فنظرَ الشّاعرُ إلى تحرُّكِ التاءِ والراءِ من (اشترِ) واللامِ من (لنا) فتكوّنَ عنده المقطعُ (تَرِل) وهو بمنزلة (كَتِف) فأسكنَ الوسطَ كما يُسكَّنُ وسطُ (كَتِف) والثاني: أنّه نوى الوقفَ على (اشترْ) ثم جعلَه كذلك في الوصلِ[٤].

ومن ذلكَ ما جاء في تفسيرِ جزمِ الفعلِ (يصبر)-في أحدِ الوجوه- في قراءةِ قنبل:"إنّهُ مَن يتّقي ويصبرْ"[٥] على أنّ الفعلَ (يتقي) مرفوعٌ، والفعل (يصبر) معطوفٌ عليه مرفوعٌ، ثم أسكنَ القارئُ آخرَه للوقفِ، فوصلَ بنيّة الوقفِ [٦]، وكذلك تفسيرُ سكونِ (محياي) في قراءةِ من قرأ:"إنّ صلاتي ونُسُكي ومَحياي"[٧] على أنّ القارئَ نوى الوقفَ فحذفَ الفتحةَ.

و. نيّة التقديم

ويكونُ اللفظُ هنا متأخراً، لكنّه يُعاملُ معاملةَ المتقدّمِ؛ لأنَّ نيّةَ المتكلّم تقديمُه، ومن ذلك ما جاء في قولِ زهير[٨]:

وإن أتاهُ خليلٌ يومَ مَسألةٍ يقولُ لا غالبٌ مالي ولا حَرِمُ

(١) انظر: الزمخشري،أبو القاسم(ت٥٣٨هـ) المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال-بيروت، ط١ ١٩٩٣م: ٩١/١.

(٢) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب: ٥٠٠/٢.

(٣) انظر: ابن جنّي، عثمان(ت٣٩٣هـ)، الخصائص، تحقيق محمد النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، د.ت. ٣٤٠/٢، والعكبري، أبو البقاء(ت٦١٦هـ)اللباب في علل البناء والإعراب،تحقيق غازي طليمات، دار الفكر-دمشق، ط١ ١٩٩٥م:٤٠٠/٢.

(٤) انظر: العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب: ٤٠٠/٢.

(٥) يوسف: ٩٠.

(٦) انظر:الأندلسي، أبا حيان، تفسير البحر المحيط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ ١٩٩٠م. ٣٤٣/٥، وابن هشام، أوضح المسالك: ٨٠/١..

(٧) الأنعام: ١٦٢.

(٨) انظر: ابن السراج، الأصول في النّحو: ١٩٢/٢، وابن الأنباري، الإنصاف: ٦٢٦/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرفعَ المضارعَ المؤخّرَ الواقعَ جواباً للشرطِ؛ لأنّه على نيّة التقديمِ على مذهبِ سيبويهِ فكأنَّ الأصلَ:"ويقولُ إنْ أتاه خليلٌ" والمبرّدُ يرى أنّه هو جوابُ الشرطِ وأنّ قبله فاءً مقدّرةً[١].

ومن نيّةِ التقديمِ كذلك ما جاء في قولِه تعالى:"مِن بعد ما كادَ تزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم"[٢] -في قراءةِ من قرأ (تزيغ) بالتاء- من أنّ (قلوب) تصلحُ أنْ تكونَ اسماً لـ(كادَ) وفاعلاً لـ(تزيغُ)، وقد فُسّرتْ في أحدِ الوجوه على أنّ (تزيغ) في نيّة التأخيرِ، فكأنَّ الأصل:"من بعد ما كادت قلوب...تزيغ"[٣] فتكونُ (قلوب) اسماً لكادَ، ويكون فاعلُ تزيغُ ضميراً مستتراً.

و. نيّة الانفصال

فسّرَ النحاةُ عدمَ تسكينِ آخرِ الفعلِ الماضي مع ضميرِ المفعولِ في مثل:"ضَرَبَنا زيدٌ" بأنّ المفعولَ في نيّةِ الانفصالِ، لكنه سُكّنَ مع ضميرِ الفاعلِ لأنّ الفاعلَ كالجزءِ من الكلمةِ[٤]، كما أجازوا دخولَ أل التعريفِ على المضافِ في الإضافةِ غيرِ المحضةِ بشرطِ أنْ تدخلَ على المضافِ والمضافِ إليه في مثلِ:"الجعْدُ الشعرِ" لأنّ الإضافةَ غيرَ المحضةِ على نيّةِ الانفصالِ[٥].

ح. نيّةُ الترخيم

وقد فُسّرَ بالنظرِ إليها قولُ النابغةِ[٦]:

كِليني لهمٍّ يا أميمةَ ناصبٍ وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكبِ

إذ نصبَ أميمة؛ "لأنّه أرادَ الترخيمَ فتركَ الاسمَ على أصلِه...ونصبَ على نيّةِ الترخيمِ"[٧].

المظهر الثاني: صوغُ القواعد.

لعبت النيّةُ دوراً لا يمكنُ إغفالُه في صوغِ القواعدِ النّحويّةِ، وهذا يدلُّ على مدى اهتمامِ النّحويينَ القدامى بنيّةِ المتكلّم وقصدِه، ومن تلك القواعدِ التي صاغها النّحويونَ معتمدينَ فيها على نيّةِ المتكلّمِ:

١. المعتبُر في تقسيمِ الجملِ إلى اسميةٍ أو فعليةٍ ما هو صدرٌ في الأصلِ، فجملةٌ من نحو:"كيفَ جاءَ زيدٌ" والآياتُ الكريمةُ:﴿أيَّ آياتِ اللهِ تُنكرونَ﴾[١] و﴿ففريقاً كذّبتُم﴾[٢] و﴿خُشَّعاً أبصارُهم يَخرجونَ﴾[٣] جملٌ فعليّةٌ؛ لأنّ هذه الأسماءَ كلَّها في نيّةِ التأخيرِ[٤].

(١) انظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب: ٤٥٢/١.
(٢) التوبة: ١٧.
(٣) انظر: العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب: ١٩٥/١.
(٤) انظر:ابن الأنباري، أسرار العربية: ٨٩/١-٩٠.
(٥) انظر: ص١٧ من هذا البحث.
(٦) انظر: الحضرمي، ديوان النابغة ٢٢، وسيبويه، الكتاب ٢٠٧/٢وابن إسحاق، كتاب اللامات: ١٠٢/١.
(٧) انظر: الفراهيدي، الجمل في النّحو: ١١١/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢. أجازوا عَوْدَ الضميرِ على متأخرٍ لفظاً إذا كان متقدّماً نيّةً كالفاعل مثلاً؛ لأن الفاعلَ في نيّةِ التقديمِ[٥]، ومن ذلك إجازةُ البصريينَ عودَ الضميرِ على ما أُضيفَ إليه المبتدأُ –بخلاف الكوفيين- كقول الشّاعر[٦]:

بمسعاتِه هُلْكُ الفتى أو نجاتُه

لأنّ المبتدأَ في نيّةِ التقديمِ، وما هو من تمامِه كذلك[٧].

٣. قال قومٌ من النّحويينَ: إذا كانَ الضميرُ المجرورُ يعودُ على اسمٍ ليس في نيّةِ النصبِ فلا يقدَّمُ ضميرُه، فيجوزُ لك أنْ تقول:"في داره ضربْتُ زيداً" فتُقدّمُ الضميرَ؛ لأنَّكَ تنوي نصبَ ما يعودُ عليه، ولا يجوزُ لك أنْ تقولَ:"في دارِه قيامُ زيدٍ" لأنك نويت جرَّ الاسم[٨].

٤. من المعروفِ أنّ اسمَ التفضيلِ إذا جاء مضافاً إلى معرفةٍ جاز فيه المطابقةُ مع المفضّلِ وعدمُها، لكنَّ النحاةَ يجعلونَ هذه القاعدةَ مشروطةً بنيّةِ المفاضلةِ، فإذا لم تُنوَ في اسمِ التفضيلِ المفاضلةُ تعينتْ المطابقةُ، كقولِهم:"الناقصُ والأشجُّ أعدلا بني مروان" أي عادلا بني مروان[٩].

٥. تجوزُ في الاسمِ المرخّمِ لهجتانِ، وهما معتمدتان على نيّةِ المتكلّمِ، فإذا نُويَ المحذوفُ تُركَ الاسم مبنياً على حركةِ الحرفِ الباقي فيُقال:"يا جعفَ" في جعفر، و"يا حارِ" في حارث، وإذا لم يُنوَ المحذوفُ بُنيَ الاسمُ المرخَّمُ على الضمِّ، فيُقال :"ياجعفُ، ويا حارُ"[١٠].

٦. من المعروفِ أنّ من شروطِ عملِ اسمِ الفاعلِ أنْ يدلَّ على الحالِ أو الاستقبالِ، لكنّهم أجازوا:"هذا الضاربُ زيداً أمسِ" إذا نُوي بالضارب: الذي ضرب[١١].

٧. كلُّ شيءٍ جاز إعرابُه عطفَ بيانٍ جاز إعرابُه بدلاً إلا إذا امتنعَ إحلالُ الثاني محلَّ الأولِ؛ لأنَّ البدلَ على نيّةِ تكرارِ العاملِ[١]، فمثلاً لا يجوزُ إعرابُ الحارث بدلاً في مثل :" يا زيدُ الحارثُ" لأنّه يمتنعُ إحلالُ الحارث محلَّ زيدٍ؛ لعدمِ جوازِ نداءِ المعرَّفِ بأل مباشرةً .

(١) غافر: ٨١

(٢) البقرة:٨٧

(٣) القمر:٧

(٤) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ٤٩٣/١

(٥) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ١٠٥/٢.

(٦) بلا نسبة في ابن هشام، مغني اللبيب: ٩٦/٢.

(٧) انظر: نفسه: ٥٨٠/١.

(٨) انظر: ابن السراج، الأصول في النّحو: ٢٣٩/٢.

(٩) انظر:ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ١٨١/٣.

(١٠) نفسه: ١٩٢/٣.

(١١) انظر: ابن السراج، الأصول في النّحو: ٢٦٥/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨. ذكر ابنُ السرّاجِ أنّ الشرطَ يجبُ أنْ يتقدمَ على الجزاءِ، ثم ذكرَ أنّه يجوزُ تقديمُ الجزاءِ بوجهين: إما للضرورةِ، وإما أنْ نذكرَ الجزاءَ بغيرِ شرط ولا نيّةٍ، كأنْ يقولَ قائل: أجيئُك، يقول ذلك على كلِّ حالٍ، ثم يبدو له ألا يجيئَكَ إلا إذا جئته فيقول: إن جئتني[٢].

٩. يجوز دخولُ أل التعريفِ على المضافِ إضافةً غيرَ محضةٍ بشرطِ أنْ تدخلَ على المضافِ إليه أيضاً؛ وذلك لأنّ الإضافةَ غيرَ المحضةِ في نيّةِ الانفصالِ، وذلك نحو:" الجعدُ الشعرِ"[٣]، وهذه الإضافةُ في نيّةِ الانفصالِ عندهم؛ لأنّ الأصلَ في مثلِ "ضاربُ زيدٍ" : "ضاربٌ زيداً"[٤].

وبعدُ، فإنا نلمحُ مدى اهتمامِ النّحويينَ القدامى بما وراءِ الظاهرة اللغوية، فهُم لم يتعاملوا مع النصوصِ على أنها مبتورةٌ عن قائليها، بل اهتموا بقصدِ القائل ونيّته، حتى إنهم فسروا كثيراً من النصوصِ معتمدين في تفسيرِهم على نيّةِ القائل، كما صاغوا قواعدَ ليست قليلةً، راعوا فيها هذه النيّةَ.

ومع هذا، فنحن لا نؤيد مذهبَهم، ولا نسعى مسعاهم، لأنّ نيّةَ المتكلّمِ أمرٌ خفيّ، لا يعلمُه إلا هو، والمبالغةُ في الاعتمادِ عليه تُعدّ ضرباً من التخمينِ، وبُعداً عن الأدواتِ اللغويةِ الحقيقيةِ في تفسيرِ النصوصِ.

وقد بين هذا البحث مظهراً من مظاهر التأويل النحوي يمكن إضافته إلى المظاهر الأخرى كالحذف والإضمار والتوهم، وهذا المظهر (النية) أغفله الباحثون الذين تناولوا مسألة التأويل بوجه خاص، ومسألة التفكير النحوي بوجه عام.

ويمكن لأبحاث أخرى أن تربط بين النية وعلم النفس، فقد ذهب بعض الباحثين في هذا المجال إلى أن بين المتكلم والسامع صعيداً مشتركاً من المعارف والمعتقدات والتوقعات المشتركة، وأن المتكلم يأخذ بعين الاعتبار هذا المشترك[٥].

وأن المتكلم يخطط أولاً لما يقوله بناء على ما يعرفه هو، ثم يعدّل ذلك بناء على الصعيد المشترك بينه وبين السامع[٦]. فأنت مثلاً قد تنوي أن تقول لصديقك: أعطني القلمَ، لكنك تعدل عن ذلك، فتقول: القلمَ، وهو يفهم ما تريد؛ لأن بينكما قدراً من التوقعات المشتركة.

وأخيراً فإني أسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ أكونَ قد وُفِّقتُ في عرضِ هذا الموضوعِ والإحاطةِ بجوانبه، راجيه سبحانَه أنْ يغفرَ زلاتِنا، وتقصيرَنا في أمرِنا، إنه نعْمَ المولى.

(١) انظر: ابن هشام(ت٧٦١هـ)شرح قطر الندى، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، ط١١ ١٣٨٣: ٢٩٩.

(٢) انظر: ابن السراج، الأصول في النّحو: ١٨٧/٢.

(٣) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ٤٧/٣.

(٤) انظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب: ٤٢٣/١.

(٥) انظرالحمداني، موفق، علم نفس اللغة، دار المسيرة-عمان، ط١ ٢٠٠٤م: ١٥٠

(٦) انظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب: ٤٢٣/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com